نحن والإنجليز

يحسن بنا نحن المصريين -فى هذه الآونة- أن نعود بالذاكرة إلى ماضينا القريب نستوحيه لحاضرنا ومستقبلنا.

ساهمت مصر مع الدول الديمقراطية فى حربين عالميتين ابتلى بهما هذا الجيل وخرجت بصفقة المغبون بعد كثير العهود ومعسول الوعود.

ومنذ أن نهضت مصر فى سنة 1919 وهى تفاوض الإنجليز، فجميع الأحزاب المصرية فاوضتهم من وفديين إلى أحرار دستوريين، وجميع الأحزاب الإنجليزية فاوضتنا فالمحافظون فاوضوا والعمال كذلك.

وقضت وزارة الوفد الأخيرة شهورًا طوالًا فى محادثات ومكاتبات فلم تصل إلى نتيجة لأنَّ القوم ظلوا على عنادهم ومصر مصممة لا تلين. وكيف يلين صاحب الحق المهضوم وأنى له أن يلين.

وأخيرًا جمعت البلاد كلمتها وخطت خطوتها الجبارة فأعلنت من جانبها فى حزم وعزم إلغاء معاهدة سنة 1936 واتفاقيتى الحكم الثنائى. ووقفت مصر من الاستعمار وقفة العزة والإباء.

وشاء القدر أن تقع حوادث القاهرة فى يوم 26 يناير الماضى فوليت وزارة رفعة على ماهر باشا الحكم واستطاع رئيسها بسعة حيلته أن يجمع حوله القلوب على تنافر بعضها فيما بينها ونجح فى توطيد الأمن وإقرار النظام وكان قاب قوسين أو أدنى من المحادثات أو المفاوضات.

وشاء القدر أيضًا ألا يكون في اليوم الموعود حديث ولا كلام واستقال ماهر

باشا والبلاد كلها آسفة لاستقالته لأنَّه مع قصر المدة التى ولى الحكم فيها كان صريحًا غاية الصراحة واضحًا غاية الوضوح فيما يتعلق بنياته نحو الأهداف القومية التى انعقد عليها إجماع البلاد. والحق أنَّ بيانه كان رائعًا وأنَّ موقفه كان وطنيًا وأنَّ سياسته كانت سياسة بعيدة النظر ولكنها الظروف التى لم تكن فى الحسبان حالت بينه وبين أداء الرسالة التى أخذها على عاتقه.

والآن أصبحت الأهداف القومية أمانة فى يد دولة رئيس الوزراء الهلالى باشا. ودولته ليس بعيدًا عن قضية بلاده وقد توفر على دراسة الوثائق جميعها واطلع طبعًا على الكتاب الأخضر وما حوى من المحادثات مع الفيلد مارشال سليم ومع سعادة السفير البريطانى ومع المستر بيفن ووجد أمامه أقوال حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا وأقوال سعادة صلاح الدين باشا.

وجد هذا كله بين يده، ووجد إلى جانبه الوثائق الأخرى التى قدمت للبرلمان فى 8 أكتوبر الماضى، والتقارير التى وضعتها اللجنتان اللتان اختارهما كل مجلس لبحث التشريعات الخاصة بإلغاء المعاهدة وما انتهتا إليه فى هذا الشأن.

ولقد عرف دولته طبعًا أنَّ رفعة ماهر باشا صرح يومًا بأنه لن يحادث الإنجليز فى مبدأ الجلاء إنما حديثه يكون عن طريق التنفيذ.

والخلاصة أنَّ دولة نجيب باشا يجد أمامه أمة مهما اختلفت فى شئونها الداخلية فهى فيما يتعلق بأهدافها القومية مجمعة الكلمة مصممة إلى النهاية لا تقبل فى شأن قضيتها لينًا ولا هوادة. وأنَّ زعماءها جميعًا لو اجتمعوا فإنها لن تسمع إليهم، بل إنها تنحيهم عن مراكز زعامتها.

هذه هى الحقيقة التى يجب أن يدركها الإنجليز.

ويجب أن يدركوا أيضًا أن لا مجال للتسويف ولا للماطلة.

ويجب أن يدركوا أخيرًا أنَّ الجلاء ووحدة الوادى تحت التاج المصرى أمر محتوم.

ولقد كان سعادة صلاح الدين باشا بارعًا غاية البراعة عندما قال فى خطبته فى هيئة الأمم المتحدة أخيرًا أنَّ الإنجليز عرضوا علينا بواسطة الدول الأربع نفس الدمية المكسورة بعد أن طليت بطلاء جديد فأبينا شراءها.

والكلمة الأخيرة هى إما أن يسلم الإنجليز لمصر بأهدافها كاملة غير منقوصة وإلا فليقض الله بيننا بما هو قاضٍ ولن تذل أمة صممت على الحياة الحرة الخالدة.